المحاضرة السادسة: الانزياح والمفارقة

تمهيد:

إن الظواهر الأسلوبية تمثل الجانب الجمالي من العمل الأدبي؛ ولأن الأسلوبية تعنى بمجالي اللغة والأدب، فنجدها وضعت معيارا لتحقق الجمالية، وهذا المعيار هو الظواهر الجمالية الممثلة في الانزياح والمفارقة. وهذه المصطلحات حديثة وجدت مع الأسلوبية. وهذا لا يعني أنها لم تكن موجودة من قبل؛ وإنما كانت موجودة وتعرف بالصور البيانية، التي تخرج بالصورة الشعرية عن المتعارف والمألوف.

أولا الانزياح:

ويسمى أيضا انحرافا أو عدولا. وقبل التطرق لمفهومه الاصطلاحي، نأتي بالمفردة في المعاجم العربية، ورد في لسان العرب: «نزح الشيء نزْحا ونزوحا: بعد. ونزحت الدار فهي تنزح نزوحا: إذا بعدت...جمع منزاح وهي تأتي إلى الماء عن بعد...وبلد نازح: بعيد»[1] فالانزياح يعني الابتعاد عن الوضع الأصلي.

والانزياح ظاهرة أسلوبية ظهرت مع الدراسات النقدية واللسانيات الحديثة، ويعني: «انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، يمكن

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مج02، ص 614.

التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، ويمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته»"[2]" فالانزياح خروج عن القاعدة، ويختص بالشعر أكثر من النثر.

ولقد تعددت المفاهيم حول الانزياح وتطرق إليه كل من اللغويين العرب والغربيين، والمقام لا يتسع لحصرهم جميعا لذا سنعرض بعضا منهم. فنجد تمام حسان يعرفه بأنه: «عملية خروج عن الأصل ويحدث في كل مستويات اللغة (صوتي، صرفي، معجمي، نحوي) ويصطلح عليه بالأسلوب العدولي الذي يعد خروجا عن أصل أو مخالفة لقاعدة، ولكن هذا الخروج وتلك المخافة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها»"[3]" فالانزياح لا يختص بمستوى واحد؛ إذ نجد الانزياح الصوتي، والانزياح المعجمي، والانزياح التركيبي...

وها هو أيضا عبد السلام المسدي يبين أهمية الانزياح وقيمته بقوله: «ولعلّ قيمة مفهوم الانزياح في نظرية تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب تكمن في أنه يرمز إلى قاربين: اللغة والإنسان...وما الانزياح سوى احتيال الإنسان إلى اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورهما معا»"[4]" فعجز الإنسان عن فهم اللغة كلية وفهم طرائقها، لذا يحتاج إلى الانزياح لسد هذا القصور.

ومن الغربيين الذين تطرقوا إلى مفهوم الانزياح، نجد، جون كوهين يعتبر أن الانزياح خاص بالشعر فقط، فيقول: «الشعر انزياح عن معيار هو قانون اللغة، فكل صورة تخترق

---

[2]– بوخاتم مولاي علي: مصطلحات النقد العربي السيمياوي، الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، 2002، ص 281.

[3]– تمام حسان، كتاب البيان في روائع القرآن، عالم الكتب – القاهرة، ط1: 1993، ص 345.

[4]– عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 106.

قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها»"[5]" فهو ليس عشوائيا وإنما خاضع لمبدأ الاختيار. ويمثل جون كوهين الأسلوب بخط مستقيم طرفاه قطبين: القطب النثري الخالي من الانزياح، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة.

أمّا ريفارتير فيقول: «يدقق مفهوم الانزياح بأنه يكون خرقا للقواعد حينا، ولجوءا إلى ما ندر من الصيغ حينا آخر»"[6]" فهو السبيل للتعبير عن الفكرة بإعطاء اللفظ بعدا إيحائيا، يفيد الغرض المطلوب من جهة، ويعطي جمالية أدبية من جهة أخرى. فهو يميز اللغة الشعرية ويمنحها خصوصياتها، ويجعلها مختلفة عن اللغة العادية، وفي هذا كله نوع من التأثير الجمالي والإيحائي.

وفي الأخير، نخلص إلى أنّ الانزياح ظاهرة أسلوبية يعنى بها في التحليل الأسلوبي، والانزياح كما قلنا سابقا لم يستقر على مصطلح واحد؛ وإنما تعددت تسمياته من بينها: الانكسار، انكسار النمط، التكسير، كسر البناء، الإزاحة، الانزلاق، الاختراق، التناقض، المفارقة، التناقض، مزج الأضداد، الإخلال، الاختلال، الخلل، الاتحاد، التغريب، الاستطراد الاصالة، الاختلاف، فحوة التوتر.

---

[5]– جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر. محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر – المغرب– ط1: 1986، ص 192 -193.

[6]– عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 82.

ثانيا: المفارقة:

وهي التفريق والفصل، جاء في معجم العين: «الفرق: تفريق بين حتى يفترقا، ويفرقا، وتفارق القوم افترقوا؛ أي فارق بعضهم بعضا»"[7]" أي فصل وميز أحدهما عن الآخر.

ويعرف رولان بارت المفارقة بأنها: «سلسلة شكوك تتحول غلى نوع من القلق مطلوب في الكتابة، ومن شأن هذا القلق إبقاء تلاعب الرموز وتعدد الدلالات قائما بتعدد القراءات التي تستفز العقل والخيال معا»"[8]" فهي تخاطب العقل والخيال الإبداعي للقارئ المسؤول عن فك شفرات النص.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك علاقة بين المفارقة والانزياح، وهذا ما ذهب إليه المسدي، حيث «ربط مفهوم الأسلوب بمجموع المفارقات التي نلاحظها بين النظام والتركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة وهي مفارقات تتطور على انحرافات ومجازفات، بها يحصل الانطباع الجمالي»"[9]" فهي أيضا نوع من الظواهر الأساسية في التحليل الأسلوبي، وذلك لبيان العنصر الجمالي في العمل الأدبي.

والمفارقة هي **تعبير المرء** عن معناه بلغة موحية بنقيض هذا المعنى أو يخالفه، ولا سيما بأن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر، إذ يستخدم لهجة تدلّ على المدح، ولكن بقصد السخرية أو التهكم، **وإما هي حدث أو ظرف** غير مرغوب فيه، ولكن في وقت غير مناسب البتة. كمل لو كان حدوثه في ذلك الوقت سخرية من ملاءمة الأشياء. وإما هي

---

[7]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح. مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، ج05، ص 147.

[8]– خالد سليمان، المفارقة في الأدب دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق للنشر –عمان_ ط1: 1999، ص 18.

[9]– عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 102.

استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجها لجمهور خاص مميز، ومعنى آخر ظاهرا موجها للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالقول"[10]".

عناصر المفارقة:

تقوم المفارقة على أربعة عناصره هي على النحو الآتي:

1-**المرسل:** وهو الشاعر، صانع المفارقة، الذي يعمل على خداع القارئ بلغة مباغتة، وهذه الصناعة تستوجب: «ذكاء ووعيا، حيث يستحيل المفارقة إلى انزياح داخلي، تتأسس قاعدته المعيارية في النفس على هيئة نسق مميز، ثم يتلاشى النسق، ليظهر نسق آخر يفارقه في خصائصه الصوتية او التركيبية أو الدلالية»"[11]"

2-**المرسل إليه/ القارئ:** وهو المتلقي الموكل بفك شفرات النص، وتجلية معانيه المبطة، وتتجلى براعة المفارقة فيما تثيره في القارئ من بحث دؤوب عن المعنى، يجعله يسير عبر خطوط النص، ويخترقها مرات عدة محاولا الوصول إلى إقامة علاقات بين ظاهر اللفظ ومحمولاته الدلالية، لكنه في حركاته هذه محكوم بالسياق؛ لأنّ الدلالة المفارقية نابعة من اللفظ محددة بالسياق"[12]"

3-**الرسالة /نص المفارقة:** يعتمد نصها على «حيلة لغوية، فرموزه توحي بالخفاء والستر وراء حجب شفافة، حيث ينتشي القارئ بخياله ليفك الرموز متمتعا

[10]- خالد سليمان، المفارقة في الأدب، ص 14. بتصرف.

[11]- محمد صالح قريميدة: مصطلح المفارقة في التراث البلاغي العربي القديم، ص 77.

[12]- عالية قري، آليات المفارقة الأسلوبية في ديوان دائما أنت بقلبي لفاروق جويدة، مجلة التراث، 2017، ع04، ص 04.

بجمالياتها بعد العثور عما كان ضبابيا، حيث يكون النص المفارقي جذابا موحيا بدلالات يستنبطها المتلقي بفك رموزها» "[13]"

4-الضحية: ويختلف دورها عن دور صانع المفارقة؛ أي الشاعر، وقارئها؛ لأن دوره مقدر وليس له دخل في صنعه، فهو تابع مستجيب لما يحركه فيه المرسل؛ لأنه يظهر ردود أفعال سابقة، وكلما ازدادت غفلته، وجهله للأمور ، كلما ازداد تأثير المفارقة وعمقها."[14]"

إذن نخلص في الأخير إلى أنّ المفارقة تعتمد بالدرجة الاولى على ذكار الشاعر وقدرته على تضمين لغته بدلالات خفية ومشفرة، وذلك من خلال تلاعبه بالألفاظ لمباغتة المتلقي، وإجباره على القراءة.

[13]- يسرا خليل، المفارقة في شعر الصنوبري، ماجستير، جامعة الخليل، 2015، ص 14.

[14]- عالية قري، آليات المفارقة الأسلوبية، ص 04.